المضمرات النّسقية السّياسية والدّينية في الأغنية الشّعبية "يا حسرة عليك يا الدنيا" لكمال مسعودي

Alaik Hasret The political and religious methodological implications in the popular song –Ya Ya –Dunya
by Kamal Masoudi

ط.د مومني أميرة
جامعة 8 ماي 1945،قالمة/الجزائر، Moumeni.amira@univ-guelma.dz
مخبر الدراسات اللغوية والأدبية
أ.د عساسلة فوزية
جامعة 8 ماي 1945،قالمة/الجزائر، Assasla.fouzia@univ-guelma.dz
مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024 / 12 /31	2025/02/19	2025/ 03 / 15

ملخص البحث

تعدّ الأغنيّة الشّعبية الجزائريّة، من أهمّ مظاهر التّعبير عن الحياة الاجتماعية الجزائرية، ما جعلها تحظى بقبول كبير لدى الشّعب الجزائري؛ كونها تجسّد مختلف الجوانب الهامّة في حياته سواء دينيا أو ثقافيا أو سياسيا. و هذا ما جعل لها وقعا كبيرا في نفس المتلقّي الجزائري.

وتهدف هذه الورقة البّحثية إلى استخلاص جملة الأنساق السيّاسية والدّينية المضمرة الكامنة وراء الأغاني الشّعبية ذات الطابع الأندلسي، والتي تعتمد على اللّغة البلاغية الجمالية، والكشف عما تغطّيه من أفكار نسقيّة مقنّعة، تحجب الرّؤية عن الواقع السيّاسي والدّيني للشّعب الجزائري، من خلال أغنية يا حسرة عليك يا الدنيا لمؤديها كمال مسعودي، من خلال الاعتماد على المنهج الثّقافي.

الكلمات المفاتيح: أغنيّة شّعبية؛ نسق ديني؛ نسق سياسي؛ نسق ثقافي؛ كمال مسعودي.

Abstract

The Algerian folk song is one of the most important manifestations of the expression of Algerian social life, which made it live with great acceptance among the Algerian people, as it embodies various

important aspects of their life, whether religious, cultural or political, and this is what made it have a great impact on the same Algerian recipient.

In this research paper, we seek to extract the set of political and religious patterns behind popular songs of an Andalusian nature, which rely on aesthetic rhetorical language, and to reveal the dark side of the reality of the Algerian people through the song "Ya Hasret Alaikum Ya Al-Dunya" by Kamal Masoudi, relying on the cultural approach.

Key Words: Keywords: popular songs, religious patterns, political format, cultural format, Kamal Masoudi.

1. مقدمة:

يُعتبر النّقد الثّقافي من أهمّ مناهج ما بعد حداثية، التي أعادت الاعتبار للأدب الشّعبي وجعلته مساويا للأدب الرّسمي، لما يحتويه من أنساق ثقافيّة مضمرة، تمرر عبر شعبيّته وجماليته الفنّية التي تغطي محتواه الثّقافي بكل براعة، ومن ذلك الشّعر الشّعبي، والحكي الشّعبي، والنّكت، والألغاز، والأغاني الشعبية ...

فالأغاني الشّعبية من أهمّ الموروثات الثّقافية التي احتفظ بها الشّعب الجزائري، ومال إليها لما فيها من متنفّس للنّفوس، ومطرب للأذان؛ من حسن النّغمات، واختيار الكلمات، ناهيك عن مواضيعها العديدة التي تمسّ أغلب الفئات الاجتماعية، ومختلف نواحي الحياة، وهذا ما جعلها مليئة بالمضمرات النّسقية التي تحدّث عنها الغذامي، ودعا إلى الإفصاح عنها والكشف عن عيوبها، وهذا ما سنحاول دراسته في هذا البحث من خلال اعتمادنا على أغنيّة : "يا حسرة عليك يا الدنيا" لكمال مسعودي أنموذجا لتحقيق هدفنا المنشود.

وبناء عليه يمكن طرح الإشكالية التّالية:

كيف استطاع صاحب الأغنية أن يعبّر عن جانب جدّ مؤلم ومؤسف من ممارسات سياسية، وسلوكات دينيّة قد طغت على الحياة الجزائرية؟ وكيف استطاع من خلال لغته الجميلة أن يصل إلى نفوس المتلقّين؟

وللوصول إلى ما نصبوا إليه اعتمدنا على المنهج الثّقافي كوسيلة مجديّة لذلك.

2. مفهوم النقد الثقافي

النّقد الثقافي من المناهج التي شاعت في أوساط السّاحة النّقدية ما بعد حداثية، ويسعى هذا النّقد إلى الكشف عن جملة الأنساق المضمرة وراء اللّغة الإبداعية الإيحائية، ويعرفه عبد الله الغذامي بأنه:" فرع من فروع النّقد النّصوصي العام، ومن ثمّ فهو أحد علوم اللّغة وحقول الألسنية، معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثّقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه.. همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي والجمالي"[1] فالنّقد الثّقافي يترصّد كل الظّواهر الثّقافية سواء المكتوبة أو المنطوقة أو المصوّرة... وكل ما يمثّل الظاهرة الثّقافية، حيث يسعى لدراستها فحصا وتفكيكا وتحريرا، بغية الكشف عما تخزّنه وراء جمالياتها، فهو نقد يقوم ب"درس كل ما تنتجه الثّقافة من نصوص سواء أكانت مادية أم فكرية، ويعني النّص هنا كل ممارسة قولا أو فعلا"[2].

3.مفهوم الأنساق الثّقافية المضمرة

تعدّ الأنساق الثّقافية المادة الخام للنّقد الثّقافي، فهي الهدف الذي يرموا إليه، ويصبو للوصول إليه والكشف عنه، والمضمر هو المخفي الذي لا يظهر، المخزّن في لاوعي المؤلف، الذي اكتسبه من الثّقافة المهيمنة

التي ترعرع في أحضانها، حيث يعرف الغذامي النّسق الثّقافي المضمر بأنه نسق يكمن خارج "محيط الوعي، وهو يتسرّب غير ملحوظ من باطن النّص، ناقضا منطق النّص ذاته، ودلالاته الإبداعية، الصّريح منها والضّمني، وهذه بالضّبط لعبة الألاعيب في حركة الثّقافة وتغلغلها غير الملحوظ عبر المستهلك الإبداعي والحضاري، مما يقتضي عملا مكثّفا في الكشف والتّعيين[3]، وهذا يعني أن النّسق الثّقافي هو الدّلالة الثّقافية، التي تتجاوز الدّلالة الصّريحة المعبّر عنها الجملة النّحوية، وتتجاوز الدّلالة البلاغية الضّمنية، التي تعبّر عنها الجملة المجازية الإيحائية، حيث أن هذه الدّلالة الثّقافية تكون مضمرة في لاوعي المؤلّف، وهي دلالة جماعية شكّلتها الهيمنة الثّقافية، ولدت في اللاوعي الجمعي منذ نعومة الأظافر، تربى عليها وتغذى عليها العقل الباطن، فتحكّمت بمسار الحياة في مختلف مناحيها، ورسمت محيطها، وزرعت قيودها، لهذا لا يستطيع المبدع تجاوزها بشكل لاواعي، فتضمر بين أسطره الإبداعية وتشكل ما يعرف بالأنساق الّثقافية المضمرة. ولهذا فإن النّسق الثّقافي المضمر "يتحدّد عبر وظيفته، وليس عبره وجوده المجرّد، والوظيفة النّسقية لا تحدث إلا في وضع محدّد ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر"[4]. ومنه يمكن القول بأن الأنساق الثّقافية هي عبارة عن "نظم بعضها كامن وبعضها ظاهر في أية ثقافة من الثّقافات، وتتفاعل في هذه النّظم العلاقات المجازية عن التّذكير والتّأنيث الثّقافيين، والعرق، والدين، والأعراف الاجتماعية، والقيود السّياسية، والتّقاليد الأدبية، والطّبقة، وعلاقات السّلطة التي تحدّد المواقع الفاعلة للذّوات، وهذه النّظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه"[5].

وخلاصة القول أن الأنساق الثّقافية هي مجموعة القيود الاجتماعية (العادات والتقاليد)، والدّساتير السّياسية الحكومية، والأحكام الشّرعية الدّينية، التي تربّى عليها أفراد مجتمع ما، فلا يمكن تجاوزها والإخلال بها، وهي التي تمثّل الثّقافة الجماعية الرّاسخة في اللاوعي، أي القول بأنّ الأنساق الثّقافية هي الهيمنة الثّقافية التي وضعتها المؤسّسات الحاكمة، والتي تؤثّر في النّصوص الإبداعية والظّواهر الثّقافية الجمالية.

4. الأغاني الشّعبية

1.4. مفهوم الأغاني الشعبية:

تعدّ الأغاني الشعبية من أهمّ أنواع الأدب الشّعبي استقبالا وترحيبا في الأواسط الجماهيرية، حيث تمثّل السّاحة الشّعبية ملعبها، باعتبار أن مبدعها هو أحد أفراد الشعب.

وتعرّف الأغنية الشّعبية بأنها "شكل أدبي تؤدّيه النّسوة وحتى الرّجال على حد سواء... تجمع بين الكلمة واللّحن والأداء والرّقص، بالإضافة إلى الآلات الموسيقيّة التّقليدية خاصّة"[6]، حيث تعبّر عن الوقائع الاجتماعية، السّياسية، والدّينية للمجتمع الذي نشأت فيه، ف"الأغنية المردّدة التي تستوعبها حافظة جماعة تتناقل آدابها شفاها، وتصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي"[7]. وإجمالا فإن الأغنية الشّعبية هي ذلك "التّعبير البسيط عن آمال وألام الشّعوب، نجدها تختلف من منطقة إلى أخرى، اختلافا يساير الأحداث

التّاريخية والاجتماعية والسّياسية للشّعوب، فهي حاضرة مع الإنسان في كل المناسبات الدّينية والاجتماعية والعلمية والسّياسية، تخفّف عنه الألم في مواضيع الحزن وتزيد من سعادته في مواضيع الفرح"[8].

2.4. أنواع الأغاني الشعبية وموضوعاتها

تعدّدت الأغاني الشّعبية وتنوّعت، باختلاف لهجاتها، وموضوعاتها، وبنياتها، حيث أن هناك أغاني الأطفال، وأغاني الكبار، وهذه الأخيرة بدورها تنقسم إلى أغاني فردية، أغاني جماعية:

1.2.4-أغاني الأطفال: هي تلك الأغاني التي تردّدها مجموعة من الصّغار أثناء اللّعب، وهي أغاني ترفيهية وتعليمية في الآن ذاته منها، وقد تكون باللّهجة العامية والعربية الفصحى مثل أغاني القفز على الحبل:

هيا نلعب رياضة: أولهم لمس الأرض، ثانيهم رفع الرأس، ثالثهم دوري دورة، رابعهم احسبي من العشرة... فهذه أغنية القفز على الحبل، وهي في نفس الوقت تغنى باللّغة العربية الفصحى، وتقدّم أثناء القفز مجموعة من النشاطات الأخرى.

وفي موقع آخر هناك من الأغاني التي تمارس باللغة العامية والفرنسية مثل:

باطة فوق باطة تساوي شكلاطة كي واحد كي زوج كي ثلاثة = boit sur boit égale chocolat comme une comme deux comme trois.

وهنا نلاحظ تدخل الاستعمار اللّغوي حتى في أغاني الأطفال، فعلى الرّغم من كون الطفل الصّغير لايفقه الفرنسية إلا أنه يلعب بكلماتها، ويمارس سلطتها، كما يمكن أن يستعمل كلمات باللّغة الإنجليزية مثل في لعبة الغميضة، كلمة Play التي ينطق بها الطفل بعد أداء أغنية الحساب المتمثلة في:

حوتة تحت الماء تحسب من المية (مئة) عشرة عشرين ثلاثين ربعين خمسين ستين سبعين ثمانين تسعين مية (مئة) Play ليفتح عينيه ويبدأ البحث عن زملائه في اللعب، ناهيك عن اكتساب معلومة السّمك الذي يعيش تحت الماء، وتعلم الحساب والعد.

2.2.4-أغاني الكبار: وهي مجموعة الأغاني التي تؤديها النّساء أو الرّجال في مواقيت ومناسبات مختلفة، وهناك الأغاني الفردية، والأغاني الجماعية:

أ-الأغاني الفردية:

وهذا النّوع من الأغاني يؤدى من الرّجال والنّساء بشكل فردي، مثل الّتي يغنيها الفارس أثناء ركوبه الخيل، وتسمى هذه الأغاني بالتّعياط، وتمارس في المناسبات كالأعراس والوعدة في منطقة الشّرق أو الغرب على حد سواء، وهناك الموال الذي تؤديه المرأة أثناء تنويم الصّغير وهي عبارة عن دندنة تكون بصوت حنون وشجي، يُشعر الطّفل بالنّعاس، ويساعد على تهدئته للنّوم[9] مثل :

نني نني يابشة واش نديرو للعشاء، نديرو جاري بالدبشة كي ينوض ولدي يتعشى

ب-الأغاني الجماعية: وهي الأغاني التي تؤديها الأصوات الجماعية وهي تتمتّع "بنفس خصائص الأغاني الفردية شكلا ومضمونا، غير أنها تؤدى في شكل جماعي، تقوم به مجموعة من النّساء أو الرّجال، وتغنى

حسب مواضيع الأغنية ومناسباتها، وتكمن وظيفتها في التّرفيه والتّسلية من جهة، والإرشاد بالقيم الأخلاقية، والاجتماعية من جهة أخرى"[10] حيث نجد الأغاني الدّينية، وأغاني الأفراح، وأغاني العمل، وأغاني الثّورة منها:

-الأغنية الدينية: مثل الأغاني التي نردّدها في المولد النّبويّ الشّريف:

زاد النبي وفرحنا بيه، صل الله عليه، يا عاشقين رسول الله صلى الله عليه، صلوا على بن أمينة صلى الله عليه، فارس مكة والمدينة صلى الله عليه...

-أغنية الأفراح: مثل أغاني الحنة الجزائرية:

يا لالّة مدي يدك للحنة، مدي يدك، البنات دايرين وطفلة صغيرة فرحانة مدي يدك،...

-الأغنية الثّورية: مثل أغنية الطيارة الصفراء.

3.4.خصائص الأغنية الشعبية:

يمكن أن نجملها في النّقاط الآتية:

- تتميز الأغنية الشّعبية بكونها مجهولة المؤلّف في غالب الأحيان، حفظتها الذّاكرة الشّعبية، وتناقلتها الأجيال.
- تعتمد المشافهة، واللّحن المميّز الذي يساعد على حفظها، وتوارثها.
- أن تتناول المواضيع الشّعبية، الّتي تمسّ الفئات الجماهيرية المختلفة في المناسبات المتنوّعة، ومناحي الحياة المتعدّدة.
- تختلف من منطقة إلى أخرى، اختلافا في اللّهجات والأداء، واللّحن والموسيقى، وحى الرقصات إن كانت أغاني خاصة بالأفراح.
- اللّغة العامية، واعتمادها على اللّهجة الشّائعة في المجتمع الذي أنشئت به[11]

5.الأنساق الثقافية في الأغنية الشعبية ياحسرة عليك يا الدنيا":

1.5 مضمرات أغنية يا حسرة عليك يالدّنيا:

أغنية يا حسرة عليك يالدّنيا من أبرز أهمّ الأغاني الشّعبية التي تردّد على الأفواه الجزائرية الشّعبية، وقد لامست هذه الأغنية قلوب الملايين لما فيها من تصوير واقع أليم للشّعب، وذلك كونها تحمل العديد من الأنساق المضمرة، لأن هذه الأخيرة لا تكون منكبتة في الآداب الرّسمية فقط، وإنما تغمر في أعماق الآداب غير الرّسمية أو غير المعتمدة، أي الآداب الشّعبية[12]

سنقف من خلال أغنية كمال مسعودي على نسقين مهيمنين أضمرهما المؤلف بين جمله وكلماته وتتمثل في :

- ❖ النّسق السّياسي: الّذي تمثل في سياسة الاستعمار، الحاكم الظلم، النفاق والخداع.
- ❖ النّسق الدّيني: الابتعاد عن الدّين وجزائه.

1.1.5. النّسق السّياسي:

يعرف النّسق السّياسي بأنه "مجموعة من القواعد والأجهزة المتناسقة والمترابطة فيما بينها، والّتي تبيّن نظام الحكم ووسائل ممارسة السّلطة وأهدافها"[13] .ويعدّ النّسق السّياسي أكثر الأنساق في الأغاني الشّعبية، إما بشكل معلن مادح لسياسة السّلطة الّتي تمثّل سياسة التّحكّم في سلوك المجتمعات، وضبطها بمجموعة من البنود الدّستورية والأحكام القانونية التي لا يمكن تجاوزها، أو بشكل مضمر إذا كان ذما ونقدا لمنهج قانونها، وسير حكومتها...

تعد أغنية ياحسرة عليك يا دنيا مليئة بالأنساق السّياسية المضمرة، حيث من خلال اطلاعنا عليها وجدنا:

أ-نسق سياسة الاستعمار:

وتتمثّل هذه السّياسة في السّواد الاستعماري الذي ساد بغيومه السّوداء سماء الجزائر بلد العروبة والإسلام، حيث يقول كمال مسعودي:

يا حسرة عليك يا دنيا فيك حكاية وحكايات
ساميني واقعدي حذايا و احكيهملي بثبات
علاش هكذا حاقدة وسمية تضلي تبدلي فالصّفات
تعذبي فيا غير بالشوية عييت من عذابك باركات

طغى على الوعي العربي الإسلامي الجزائري العقلية الأوروبية عامة، والفرنسية خاصة، المملوءة بسموم الحقد والجفاء، حيث تغير نظام الحياة في الجزائر، فسيطر على الشّعب الجزائري حبّ الذّات، والابتعاد عن الإخاء، وقلّة فعل الخير، وهذا راجع لسياسة النّهب التي فرضتها المراكز الإدارية على الشّعب المسكين، فضاقت عليه الحياة، فأصبح لا يفكّر إلا بنفسه، وكيف يكفي حياته، ولو على حساب الآخر، فشاع الحقد والحسد، وكل هذا يعود من سوء المسؤولين الّذين لايتعاملون بالمساواة بين المواطنين.

ب-نسق النّفاق والخداع:

كما يعبّر المغني عن سياسة المكر والخداع بقوله:

لعبتي بيا ولا معايا، جاوبيني علاش هذ السكات
قالولي عليك مسرحية، وأنا المسرح اسكن لي فالذات
التذكيرة خلصتها غالية، أديت معايا شي وردات
دخلت للقاعة صفقوا عليا، اطلع الستار والضوء طفات
لقيت روحي في تمثيلية، الديكور خوف ودمومات
طمعتيني ودرتي عليا، عندي جدي بصح مات

حيث أصبح النّفاق يتخلّل القلوب، فشاع الكذب وعرف الشّعب المكائد، فأصبح الأخ يحفر لأخيه، وهكذا أصبحت الجزائر تعيش واقعها، حيث أصبحت الحياة فيها كمسرحية، وهذه الأبيات تعود بالذّاكرة الشّعبية إلى مجازر 8 ماي 1945، التي مثّلت فيها فرنسا مسرحية الحرّية والاستقلال، حينما طلبت مساعدة

الجزائريين مقابل وعد الحرّية، فجعلت من ساحة المعركة مقلب لهم، أين كانت تذكرتهم ذات ثمن باهض وهو "خوف ودمومات"- حسب الأغنية-؛ أي خوف وهلع ودماء دفع على مرتين، المرّة الأولى تمثّل في مجموع الأرواح البشريّة التي أزهقت من أجل الحرّية الشّعبية، واستقلال البلاد من الأيادي الاستعمارية، والمرة الثّانية تتمثّل في الإبادة الجماعية الوحشية التي لا مثيل لها، والّتي راح ضحيّتها مقتل الآلاف دون استثناء الكبير أو الصّغير، امرأة أو رجل، وهذا بعد أن أُغلق ستار مسرحية الوعد بالحريّة والاستقلال، ورفع ستار مسرحية الدّعوة للإيفاء بالوعد -بعد ما تحقق النّصر الذي كانت تحلم به فرنسا-، على مسرح الشّوارع الجزائرية خاصّة بقالمة وخراطة. أما عن عبارة عندي "جدي بصح مات" فهي تضمر مدى الخبث الاستعماري، الذي خدع الشّعب الجزائري باسم الحرية التي أوهمتها لهم فرنسا، حيث أجابت المطالبين باسم الاستقلال، بأن من قُتل إبّان الحرب العالمية في مساعدتها قد أخذ حريّته بموته، وتخلّص جسده من قيدها بعد مغادرة روحه، أمّا من بقي على قيد الحياة فهو لا يزال أسيرا لديها ولا حريّة له ولا استقلال، وهنا برز النّفاق الفرنسي وتغلل في نفوس الجزائريين، ونسي الناس قوله تعالى "إنّ المُنافقِين في الدَّرك الأسْفلِ من النّار ولنْ تَجِدَ لَهُم نَصِيرًا "[14]، وأن الله سبحانه عزوجل خصّهم بسورة المنافقين، فأصبح مسرح النّفاق من نصيب المسؤولين في الإدارات العامة والخاصة: حيث يمثلون به أحسن تمثيل، خاصة لمن أراد منهم الوصول إلى منصب أمين، فيعد بأنه سيكون أفضل المسؤولين، وسيكون الخير في إدارته، فليكن الجميع مطمئنين، وإن كان له ذلك، دفع الكل المبلغ الثمين، من نهب وسرقة باسم القانون والحق الممنوع باسم منصبه الشّرعي، هذا بعد أن مثّل عليهم مسرحية النّفاق والخداع في وقت التكسّب للحصول على المنصب المرغوب، والكذب فوق مسرح مقابلة العمل، فيكذب وينافق بتحقيق المطالب، والصعود بالحياة إلى أسمى المستويات والتخلّص من كل ما يؤرق واقع الشّباب خاصة من بطالة وفقر، وهي عبارة عن كلمات سحرية تخرج المستمعين لها من أرض الواقع إلى اللاواقع أين الأحلام الوردية، لينصدم الشّعب بمجرد تقلّد المنصب المنشود، بأنّ واقعهم المزري لم يتغيّر، وإنما هي مجرد زخرفة كلمات، خدعوا به . حيث تمثّل عبارات :

المسرح : مكان الترشّح للمناصب، اسكن لي فالذات :الرغبة الخفيّة للشّعب الجزائري في التّغيير، الوردات: ملف الترشّح، الديكور خوف ودمومات: مآسي الشّعب : سوء التسيير، الواسطة، الرّشوة، وهو ما يؤدي بهم إلى الهجرة غير الشّرعية، البطالة، الفقر...

ج-نسق الحاكم الظالم:

يتّضح هذا النّسق جليا من خلال عبارات الأغنية التّالية:

شحال من سلطان كان في دنيا، جيوش لأمره طايعات

مال وعز وسرايا، العسة عليه بالألوفات

اغفل غفلة انقلبت الحية، في ليلته ماصاب وين يبات

وأنت يا دنيا يدك زهريا، وأنا يدي فيها الكيات

مع الواقف درتي جمعية، سماها دخلات وخرجات

والفقير ابعثي له خطية، جاء يصلي تلفتله الصلاة

كي سلم انسى التّحية، وكي تحى انسى زوج ركعات

الأغنية الشّعبية هنا تمرّر سياسة الحاكم الظّالم المتجبّر-آنذاك-، الذي يطغى على الضّعيف والفقير والمسكين، ويتجي ويصفق لكل من له مال وجاه في هذه الدّنيا، متناسي قدرة المليك الجبار على تغيير الأحوال، وتبديل الأقدار، لأنّ دوام الحال من المحال، وأفضل قصّة يتّخذها الإنسان عبرة هي قصة قارون الذي أوتي علما ومالا فكفر بأنعم الله فأصبح من الظّالمين الضّالين، وكان له من العذاب الأليم، أو فرعون الذي أصبح من المغرقين، وغيرهم من قصص كل من تجبّر وتكبّر وظلم وطغى، ولم يكن خير مسئول لرعيته، ذلك المسئول الّذي يفرض الضّرائب على المسكين الذي لا حول ولا قوة له، ومن القوانين الصّارمة التي تسدّ له منافذ العيش، ويمنعها على الغني، حيث يتّضح هذا من خلال: أنت يا دنيا يدك زهريا وأنا يدي فيها الكيات: فالدّنيا هنا تمثّل بعض الأثرياء والمسئولين الإداريين في البلاد، الّذين منعت عنهم الضّرائب وأتيحت لهم من ممارسة مختلف النّشاطات بكل حريّة ودون رقابة، والأنا المتحدثّة هنا تمثل فئة الشّعب العام الذي تتحكّم فيه مجموعة القوانين، وتقيّده في أعماله.

2.1.5.النسق الديني:

من أهمّ الأنساق الثّقافية تجليا في الأغاني الشّعبية، بمختلف أنواعها، حيث تبرز من خلاله العقلية الدّينية للمبدع وللمجتمعات، باعتبار أن "الدّين من أهم الرّكائز الّتي تشكّل شخصية الإنسان في المجتمع، وتفرض وجوده عليه، وهي سمة يتحلى بها بني البشر كلا حسب معتقده"[15]، وبهذا يشكل النّسق الدّيني "مجموعة المعطيات والطقوس والمناسك، والتّجليات للفكرة الدّينية"[16]

تعدّ أغنية يا حسرة عليك يا دنيا من أهم الموروثات الشّعبية التي تبرز الجانب الدّيني للمجتمع الجزائري العربي المسلم، فيا ترى ما هي المواضيع التي تطرّق لها كمال مسعودي في هذا النسق؟

ومن خلال اطلاعنا على أغنيته، وجدنا ما يلي:

أ-الاحتجاج على قضاء الله :

ويتجلى ذلك في قوله :

فلان وكلتيلو عسل وفاكية، وفلان شمختيلو الفتات

فلان حرمتيه من الذرية، وحياته من الفرحة خوات

فلان طلق زوجته المسكية، زعف لما جابتله البنات

الشهار يحلم بالشهرية، ياحليله مولا وليدات

خلقنا الله وميّز بيننا في الأرزاق ليس ظلما، ولكنه قدّر لكل واحد منا حياته، شقاء أم رخاء، ونحن إما أن نرضى أو نسخط، ومما سبق يمكن القول أن الشّعب الجزائري يعيش حياته وهو تارة يتذمّر، وتارة يقتنع بوضعيّته، ونسي أن الكمال لله حده، وكلمات الأغنية هي كلمات تذكيرية، تذّكر الإنسان بأنّه لا مثالية في الحياة، وكلّنا بحاجة إلى الله: فالغني هناك نقص بحياته على الرغم من ثرائه .

والفقير له ما يحتاجه الغني، ولكنه يركّز على فقره وينسى نعمه، والذي يحزن بسبب منع الأولاد عنه لايرى ما له من نعم منها الصحة، ولا يرى خيرا من ذلك ؛ لربما رزق بولد عاق عانى منه طول حياته .

والذي يطلّق زوجته بسبب البنات نسى وصية الرّسول عليه الصلاة والسلام "لاتكرهوا البنات فإنهنّ المؤنسات الغاليات" .

والذي يسخط على قلّة أجره والحمل الثقيل عليه بسبب أولاده وكثرة تكاليفهم، فهناك من لاعمل له ولا أولاد ...فهي مضمرات تصحيحية توعوية تمرّرها الأغنية الشّعبية للشّعب الجزائري يذكّره بما جاء به الدّين الإسلامي الذي يدعو إلى الصّبر على البلاء لقوله تعالى :"ولَنَبلُوَنَّكُم بشيءٍ من الخَوْفِ والجُوعِ ونَقْصٍ منَ الأمْوالِ والأنْفُسِ والثَّمَراتِ وبشِّر الصّابِرينَ"[17] فكمال مسعودي يؤكّد على ضرورة الرّضا بقضاء الله وقدره، وأن لا يركّز فقط على ما ينقصه ويتذمر، وإنما يرى نعم الله عليه ويحمده، لأن الله لا يريد إلاّ خيرا لعباده .

ب-عقوق الوالدين:

ورد الحديث عن عقوق الوالدين في قوله:

كبدة لميمة مشوية، وش سهرت ووش ربات،
على وليدها بدل الجنسية، عجبه زين الروميات
خلا يماه وحدانية من البكى والحرقة عمات
باش يبين الرجولية بعث لها زوج محيرمات

وفي قوله أيضا:

نهار كانت الدينا دنيا، الوالدين علقولهم شيعات
اليوم الوالدين راهي مرمية في مراكز الشيخوخات

عقوق الوالدين هنا ليس بالشّتم، أو الضرب، أو عصيان الأوامر، وإنما بمكافئة التّخلي والهجرة، وردّ جميلهم من التّربية والتّعب والسّهر بالخذلان والحرمان...، وفي هذا الصدد ميز كمال مسعودي بين صنفين:

الصّنف الأول: المهاجر الذي خلّف أمه بحرقة قلبها على فراقه، وهنا تناص مع قصة سيدنا يعقوب الذي "ابْيضَّتْ عَيناهُ من الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيم"[18] بسب فراق يوسف عليه السلام. المختلف أن يوسف عليه السلام كان مرغما على ذلك، أما في هذه الحالة إنّ فعل الولد بكل طواعية، ورغبة منه.

الأغنية هنا لا تتحدّث عن المهاجر من ترك البلاد فقط وإنما عن:

- المغترب الذي أصبح غريبا عن أمه، وعن تربيتها، فأصبحت لا تعرفه ولا يعرفها.
- المهاجر هنا هو ذلك الذي يرمي أمه وحيدة في منزل بارد دون مأوى أو أسرة، لا يعلم ما حلّ بها من جوع أو خوف أو برد.
- من غيّر الجنسية هنا، هو من تخلى عن إنسانيته ووجدانه، هو ذلك الإنسان المادي الّذي تأثّر بحياة اللّهو ونسي آخرته.

أما الصّنف الثّاني: هو ذلك الذي يودع والديه دور العجزة، أو مراكز رعاية المسنين-هاته المؤسسات الدّخيلة على المجتمع الجزائري العربي المسلم، وهي نوع من الاستعمار الثّقافي الّذي يدمّر الأخلاق، ويطفئ نور الإسلام في القلوب، ويقتل الإنسانية -، مدعّما فعله بقلّة حيلته، وثقل أعبائهما، ونسي قوله تعالى "وقل ربِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"[19]ولكن الله يمهل ولا يهمل.

ج_رضى الوالدين من رضى الرب: وذلك في قوله:

دعوة الوالدين رسمية، منهم الشّر والخيرات

الهنى كنز والصحة غالية والباقي كله كذوبات

وهنا تناص مع قوله تعالى "وَقضَى ربُّكَ ألّا تعبدُوا إلّا إيَّاهُ وبالوَالِدَيْنِ إحْسَانًا، إمَا يَبْلغنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلاهُما فلا تَقُلْ لهمَا أفٍّ ولا تنْهَرهُمَا وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا"[20]، فسعادة الفرد وهنائه ونجاحه وشقائه قد رُبط ببرّه لوالديه، والإحسان لهما وعبادة الله .

د_ضعف الإيمان:

من جانب الدّين أيضا تحدّثت الأغنية عن جانب الوازع الدّيني لدى الشّعب الجزائري، وتجلى ذلك في قوله:

جاء يصلي تلفتله الصّلاة، وكي سلم نسى التّحية، وكي تحى انسى زوج ركعات

على الرّغم من أنّها عبارات واردة تبرز مدى طغيان السّلطة في ذلك الوقت، والقوانين الإدارية الجائرة على الضعيف حينها؛ إلا أنّها تبيّن مدى ضعف الإيمان، ونقص الثّقة بالله، وعدم الخشوع والتّضرّع لله، وترك النّفس بين يديه القادر على حل الأمور بأوهن الوسائل، وأبسط السّبل، فالله فوق الحكومة، وقوانينها وتجبّرها، فقط الثّقة بالله والإيمان به وبقدرته التي لا يحدّها حدّ.

هـ-الفناء مصير البشرية جمعاء:

مصير الإنسان هو الموت، والعودة إلى سبحانه عز وجل، لذلك على كل فرد أن يسعى لنيل رضاه، وكسب تذكرة الجنّة، يتجلى ذلك في :

المال فاني ولعظام راشية، فاتت لجناس وتمحات

اللي كان تاقي ودار النية، طاع ربي وشد فالصلاة

درجته فالجنة عالية، وصفة الجنة درجات

والشاقي يمضي النهاية، ذاته فالنار تكسات

جلدة رايحة وجلدة جاية، يظل يبدل فالجلدات

وهي دعوة صريحة من كمال مسعودي للعودة إلى الله عز وجل، والتمسّك بحبل النّجاة من النّار، حبل الطّاعة والعبادة و تقى الله فهو هنا لا يخص الكفار فقط بمصير النّار، وإنما أيضا الحديث موجه للإنسان الجزائري المسلم أن يبتعد عن كل ما يحول بينه وبين الجنّة، وهذه الأعمال يجب أن تتنزّه عن كلّ ما ينقص قيمة إيمانها ودرجتها في الجنة.

ومن خلال هذا النّسق الذي يبيّن الجانب الدّيني للواقع الجزائري، يبيّن أيضا مدى تكوين مؤلّف الأغنية الدّيني، ونشوئه على القيم الأخلاقية الدينية الإسلامية، ومعرفته لكتاب الله، ويتأكّد هذا من خلال تناصّه مع القرآن الكريم وسنّة الرّسول الكريم" عليه أفضل الصّلاة والتّسليم"

ومن خلال هذا النّسق نتأكّد بمدى تأثير الدّين على الحياة الاجتماعية للفرد، فمن خلال الارتباط بالدّين والاستسلام لله عز وجل وقضائه، يستطيع الإنسان الوصول إلى جميع متطلّباته، على المستوى المعرفي والعاطفي، وبالتالي تحقيق الأمن والسّلام الداخلي للإنسان في وجه الظّروف الطبيعية المتغيّرة[21].

فالنّسق الدّيني لا يركّز فقط على ما احتواه النّص من آيات القرآن وأحاديث النّبي صلى الله عليه وسلّم، أو مجموعة الممارسات الشّرعية الدّينية، وإنما يركّز على مدى استيعاب الفرد لدينه، وتمسّكه به، وامتثاله لأوامره، واجتنابه لنواهيه.

6. خاتمة:

نصل في ختام هذا البحث إلى جملة من النّتائج تتمثّل :

- النّقد الثّقافي من المناهج ما بعد الحداثية، يسعى لتعريّة المؤّسسات والخطابات العليا، وفكّ القيد عن المهمّش، والصّعود به إلى مستوى المركز، وتقويض الهيمنة الثّقافية التي تسيطر على الإبداع الأدبي والفني .
- الأنساق الثّقافية المضمرة تعدّ الأساس الذي يصبوا إليه النّقد الثّقافي، والتي تكون مخفيّة بين الجمل البلاغية الجمالية والإبداعية.
- الأغاني الشّعبية هي نتاج شعبي، يؤديها رجل أو امرأة، كبير أو صغير، فردا أو جماعة، تتشعّب مجالاتها وتتنوّع، وتحظى بشعبيّة كبيرة في الأوساط الجماهيرية، لما فيها من ترفيه، واستمتاع، ومتنفّس لهم، خاصّة أنها تتناول المواضيع المختلفة التي تمسّ كل الفئات الاجتماعية، العامّة منها والخاصة.
- أغنية يا حسرة عليك يا الدنيا لكمال مسعودي تعدّ من أهمّ الأغاني الشّعبية التي لاقت رواجا كبيرا في السّاحة الشّعبية، حيث تتناول المواضيع الاجتماعية الخاصّة بالسّياسة والدّين.
- ينتقد المؤلّف لهذه الأغنية نظام السّلطة المهيمنة آنذاك، والأسلوب الاستعماري الذي تعتمده، المتمثّل في النّفاق والخداع، وعدم الإيفاء بالوعود والظّلم، والتّفريق بين الفئات الشّعبية.
- الدّين هو القاعدة الأساسية التي تقوم عليها حياة المجتمعات، فإن أصابها خلل أطاحت بما فوقها.
- إن ضعف الإيمان والوازع الديني للفرد، دائما مايقحمه في المتاعب والمصاعب، لأنه يزعزع ثقته بقدرته تعالى، وبالتالي تتسلّط عليه الدنيا وما فيها. ونتيجة لهذا البعد الدّيني استطاع الاحتلال الفرنسي أن يؤثّر في الشّخصية الجزائرية وتكوينها إلا من رحمه الله.
- تحدّث المؤلف كثيرا عن عقوق الولدين، وأصنافهم، وتألم كثيرا التصرف الدخيل على الوعي الإسلامي، الّذي يميّزه برّ الوالدين والإحسان إليهما.

وفي الخير يمكن القول بأنّه على الرّغم من كون النّص المدروس أغنية تتحلّى بالإيقاع إلا أن ما جعلها تحظى باهتمام شرائح لا بأس بها من المجتمع الجزائري؛ كونها تتضمّن في طياتها أنساقا ثقافية غاية الأهمية، تعدّ ركائز اجتماعية أساسية كالسّياسة والدّين، وبالتالي فأغنية يا حسرة عليك يالدنيا بمثابة وثيقة تذكيرية توعويّة، لكل غافل عن الحقائق وعمي عن ما وقع فيه المجتمع الجزائري من متاهات نتيجة الابتعاد عن الدّين، وإتباع الدّنيا فهي أغنية قيّمة تدعو إلى تقويم المجتمع الجزائري، وتصحيح قاعدته الأساسية ألا وهي الدّين.

7. الملاحق

1.7. ملحق1: كلمات الأغنية:

يا حسرة عليك يا دنيا فيك حكاية وحكايات
ساميني واقعدي حذايا و احكيهملي بثبات
ولاش هكذا حاقدة وسمية تضلي تبدلي فالصفات
تعذبي فيا غير بالشوية عييت من عذابك باركات
لعبتي بيا ولا معايا، جاوبيني علاش هذ السكات
قالولي عليك مسرحية، وأنا المسرح اسكن لي فالذات
التذكيرة خلصتها غالية، أديت معايا شي وردات
دخلت للقاعة صفقوا عليا،اطلع الستار والضوء طفات
لقيت روحي في تمثيلية، الديكور خوف ودمومات
طمعتيني ودرتي عليا، عندي جدي بصح مات
شحال من سلطان كان في دنيا، جيوش لأمره طايعات
مال وعز وسرايا،العسة عليه بالألوفات
اغفل غفلة انقلبت الحية، في ليلته ماصاب وين يبات
فلان وكلتيلو عسل وفاكية، وفلان شمختيلو الفتات
فلان حرمتيه من الذرية، وحياته من الفرحة خوات
فلان طلق زوجته المسكية، زعف لما جابتله البنات
المسجون يرجى الحرية بالدقيقة يحسب الوقات
الشهار يحلم بالشهرية، ياحليله مولا وليدات
كبدة لميمة مشوية، وش سهرت ووش ربات،
على وليدها بدل الجنسية، عجبه زين الروميات،
خلا يماه وحدانية من البكى والحرقة عمات
باش يبين الرجولية بعث لها زوج محيرمات

نهار كانت الدينا دنيا، الوالدين علقولهم شيعات
اليوم الوالدين راهي مرمية في مراكز الشيخوخات
أنت يا دنيا يدك زهريا، وأنا يدي فيها الكيات
مع الواقف درتي جمعية،سماها دخلات وخرجات
والفقير ابعثي له خطية، جاء يصلي تلفتله الصلاة
كي سلم انسى التحية، وكي تحى انسى زوج ركعات
المال فاني ولعظام راشية،فاتت لجناس وتمحات
اللي كان تاقي ودار النية، طاع ربي وشد فالصلاة
درجته فالجنة عالية، وصفة الجنة درجات
والشاقي يمضي النهاية، ذاته فالنار تكسات
جلدة رايحة وجلدة جاية، يظل يبدل فالجلدات
... دعوة الوالدين رسمية، منهم الشر والخيرات
الهنى كنز والصحة غالية والباقي كله كذوبات

شرح بعض المفردات:

ساميني: اقعدي بجانبي، :سمية: شريرة، عييت: تعبت، براكات: توقفي،

العسة: الحراس، الحية :الوضع، شمختي: بلّلتي، خوات: فرغت خطية: الضريبة، برية: رسالة،

2.7. ملحق2: من هو كمال مسعودي؟

هو أحد المغنيين والموسيقيين الجزائريين البارزين في الفنّ الشّعبي، أطلق عليه لقب "الطّائر الحزين"؛ بسبب رماد الحزن الذي طغى على سماء أغانيه

ولد ببوزريعة في30 من جانفي عام 1961، في منطقة شعبية في ضواحي أعالي الجزائر العاصمة، كانت بدايات نجوميته عام 1974 حينما كوّن مجموعته الموسيقية وهو لا يزال طالبا، أين شقّ طريقه في الفن، سطع نجمه خاصة بعد أغنيته "الشمعة".

حظي بمحبّة كبيرة من الجمهور، وترك تراثا فنيا زاخرا، أبرزه: الشمعة، يا دزاير،يا يما، كلثوم، يا حسرة عليك يالدنيا...

توفي في ال10من ديسمبر عام 1998، في حادث مرور، وهو ذو 37 من عمره، أياما قبل حفل زواجه.[22]

لقد أسر بأغلب قلوب الجمهور الجزائري، حيث مسّت كل الفئات الاجتماعية، والتي كانت تعبّر خاصة عن مآسي الشّعب والشّباب الجزائري، حتى أطلق عليه "حسني الأغنية الشعبية"[23].

الهوامش:

1- عبد الله الغذامي :النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ؛المركز الثقافي العربي،ط3/س2005، ص83.

2- صلاح قنسوة : تمارين في النقد الثقافي، دار سيريت/القاهرة،ط1/س2002،ص5.

3- عبد الله الغذامي : النقد الثقافي، رؤية جديدة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب/مصر، ع59،س2002،ص50.

4- عبد الله الغذامي : النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، م س، العربية،ص59.

5- ضياء الكعبي: السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، الأردن،ط1/س22005،ص22-23.

6-سيدرة سهام: الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري –صورتها ونمطها وبناؤها-"الأغنية الثورية أنموذجا"، مجلة الآداب واللغات، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار/قسنطينة المجلد08/العدد02،س2002،، ص131.

7-أحمد مرسي: الأغنية الشعبية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر/القاهرة، دط/س1968،ص28.

8- كريمة جنادي: الأبعاد التواصلية والمضامين الخفية للأغنية الشعبية الجزائرية في منطقة الغرب، مجلة الباحث العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة، المجلد1/العدد12، س2020،، ص147.

9- كريمة جنادي :الأبعاد التواصلية والمضامين الخفية للأغنية الشعبية الجزائرية في منطقة الغرب، م س، ص147

10-المرجع نفسه ص 148

11-بوقفة صبرينة، محاضرات في مقياس الأدب الشعبي العام، جامعة العربي التبسي –تبسة-،كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، س2022/2021،ص21

12-ضياء كعبي :السرد العربي القديم: م س :ص23

13- إسماعيل علي سعد علم السياسة وديمقراطية الصفوة، دار المعرفة الجامعية، د ط/س 2007،ص153

14- القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 145،مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت/لبنان،ط5/س2011، ص 101

15-جاسم محمد عباس :الأنساق الثقافية في شعر موسى حامدة، مجلة الجامعة العراقية العدد، 49 ج2،قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الانبار، ص225

16-المرجع نفسه، ص225

17-سورة البقرة، الآية 155،ص24

18-سورة يوسف الآية 84، ص245

19- سورة الإسراء الاية24، ص284

20-سورة الإسراء، الآية 23 ص284

21-كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت /لبنان، ط1/س2009،ص313

22-جريدة الجزائر: يانيس حجام:https://etdjazairi.com ، 11 ديسمبر 2020

23-الشروق: ح.م، https://www.echoroukonline.com، 2015/12/9.

قائمة المصادر والمراجع

المؤلفات:

1 احمد مرسي: الأغنية الشعبية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر/القاهرة، دط/س1968.

2 إسماعيل علي سعد علم السياسة وديمقراطية الصفوة، دار المعرفة الجامعية، د ط/س 2007.

3 القرآن الكريم: مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت/لبنان،ط5/س2011

4صلاح قنسوة :تمارين في النقد الثقافي، دار سيريت/القاهرة،ط1/س2002.

5 ضياء الكعبي: السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، الأردن،ط1/س2005.

6 عبد الله الغذامي :النقد الثقافي، رؤية جديدة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب/مصر م1،ع59،س2002.

7عبد الله الغذامي :النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية :المركز الثقافي العربي، ط3/س2005.
8كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت /لبنان، ط1/س2009.

المقالات:

1جاسم محمد عباس :الأنساق الثقافية في شعر موسى حامدة، مجلة الجامعة العراقية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الانبار .العدد، 49 ج2.

2سيدرة سهام: الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري –صورتها ونمطها وبناؤها-"الأغنية الثورية أنموذجا"، مجلة الآداب واللغات، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار /قسنطينة،المجلد08/العدد02،س2002.

3 كريمة جنادي: الأبعاد التواصلية والمضامين الخفية للأغنية الشعبية الجزائرية في منطقة الغرب، مجلة الباحث العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة، المجلد1/العدد12، س2022.

محاضرات:

1 بوقفة صبرينة، محاضرات في مقياس الأدب الشعبي العام، جامعة العربي التبسي –تبسة-،كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، س2022/2021

المواقع الالكترونية:

الشروق: ح.م، https://www.echoroukonline.com، 2015/12/9.

جريدة الجزائر: يانيس حجام:https://etdjazairi.com، 11 ديسمبر 2020.